ثالثا: أثر (العقيلات) في نشر دعوة التوحيد[1].

التوحيدُ أساسُ بناءِ الإسلام، ومركزُ الثقل في دعوته، وهو القوَّة الدافعة إلى العمل والانطلاق، لكي يؤدِّي الإسلامُ دورَه في الحياة.

فإذا فهم المسلمُ العقيدةَ، وأقامها على أساسٍ صحيح، ولَّدت إيمانًا عميقًا بالله تبارك وتعالى، يكون هو العُدّة في الملمَّات والأزمات، والقوَّة في مواجهة أمور الحياة، وهو الأسلوب النقيّ في المعاملة مع النَّاس؛ إذ لا تعدُّد في الولاءات، ولا تمزّق في التوجُّهات.

ولن تنجح التربية أبدًا، ولن تستقيم الحياة مطلقًا، إذا لم تستند إلى العقيدة.

ولقد ساد العربُ النَّاس يوم فهموا العقيدة، وأقاموها على أسس سليمة. (لذلك صدق من قال: إن العرب لا قيمة لهم من دون الإسلام).

وحين غابت العقيدة الصحيحة عن حياة المسلمين، صاروا شذر مذر، وتمزّقوا أيدي سبأ، وتداعت عليهم الأمم، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها.

ولقد كان للـ (عقيلات) دورٌ في نشر العقيدة الصحيحة، وتأكيدها في نفوس النَّاس في الجزيرة العربية عمومًا، وفي نجد وما حولها على وجه الخصوص.

فلقد اتصلت نجد – اقتصاديًّا - مع الشام، منذ القدم.

وكان للقوافل التجارية، وما رافقها من رحلات علميَّة، الدورُ الكبير والأثرُ الواضح في نقل أنواعٍ من العلوم، وفي ذروة ذلك كلّه: أصول الدين الإسلامي وفروعه.

فكان عددٌ كبير من العلماء الذين رافقوا القوافل قد تلقوا علومهم وإجازاتهم من علماء الحنابلة في الشام ونابلس، وصار هؤلاء الطلاب علماءَ كبارًا بلغوا في العلم مبلغًا كبيرًا، وانتهت إليهم الرئاسة، وأشار إليهم النَّاس بالبنان، وقصدهم طلابُ العلم من كلّ حدبٍ وصوبٍ.

وقد كان هؤلاء العلماء مقلِّدين للمذهب الحنبلي، فأثّروا في أهل بلادهم، حتى غدا جمهور النجديين حنابلة على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -.

(١) كتبه الدكتور عبدالعزيز بن صالح الطويان.

وهؤلاء العلماء النجديُّون الذين تلقوا العلم على حنابلة الشام كثيرون[1]، وسنذكر بعض المتأخرين منهم لاحقًا.

ولا شكَّ أن الحركة العلمية التي واكبت، ورافقت الرحلات التجارية إلى الشام أثَّرت في القصيم في وقت مبكر؛ حيث نسخوا، ونقلوا كتب أهل السنَّة والأثر، وخصوصًا كتب الشيخين: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام؛ ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، وصارت هذه الكتب تُدرَّس في المساجد وحِلَق العلم[2].

ولقد اعتمد النَّاس على ما كتبه الشيخان - رحمهما الله - ووثقوا به، وصار العمدة في العقيدة وغيرها، وعليه المعوّل في التدريس؛ لأنه ينهل من علوم الوحيين؛ من كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم.

لقد كان شيخُ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وتلميذُه ابن القيم - رحمه الله - حريصَيْنِ على نشر مذهب السلف الصالح وتدوينه؛ من الأصول والفروع، وتقرير معتقدهم الصحيح، والردّ على المخالفين؛ من المتكلمين، والفلاسفة، والرافضة، والمتصوفة، والباطنية.

وأكثر مؤلفات الشيخين - رحمهما الله - كانت في الأصول والعقائد، والردّ على أهل البدع والأهواء.

فالشيخان - رحمهما الله - جمعا بين غزارة العلم، وعمق الفهم، وشدة الذكاء، والإحاطة بعلوم الشريعة والمعارف الفكرية، والنظريات، والمسائل الكلامية، واستوعبا ما ألّفه من كان قبلهما، فجمعا تلك العلوم، ونقلاها إلينا بفهم ثاقب، وعقيدة صائبة، فأكثرا - رحمهما الله - من الإنتاج والتأليف.

وقد ذكر شيخُ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كلامًا في أحد كتبه، كأنّه يردّ على من يسأل عن سبب كثرة تأليفه في الأصول والعقائد، وتقرير مذهب السلف بذكر القواعد، فقال - رحمه الله تعالى -: «فإنّ هذه القواعد المتعلقة بتقرير التوحيد، وحسم مادة الشرك والغلو، كلما تنوّع بيانها، ووضحت عباراتها، كان ذلك نورًا على نور، والله المستعان»[3].

(١) انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج١، ص٢١. بتصرف.
(٢) انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج١، ص٢٨١. بتصرف.
(٣) مجموع الفتاوى: ٣١٣/١.

لذلك عمَدَ طلبةُ العلم - وخاصَّة أهل القصيم - إلى مؤلفات الشيخين - رحمهما الله - يدرسونها، ويُدرِّسونها أبناءهم.

يقول الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام: حدثني الشيخ عبدالرحمن السعدي بعنيزة أنَّ الشيخ إبراهيم بن حمد الجاسر كان يُدرِّس للطلبة كتاب (منهاج السنة النبوية) لشيخ الإسلام ابن تيمية في بريدة، فقرأ القارئ بين يدي الدرس كلامَ المعارض (ابن المطهر الحلي)، وأخذ القارئ يسرد أقواله، ويسوق شبهاته في الرفض والضلال، فما انتبه الطلبة إلا على بكاء الشيخ الجاسر ونشيجه، وترحّمه على شيخ الإسلام ابن تيمية. فلما سكن، قال: أيها الإخوان، لو لم يُقيِّض الله لهذا الطاغية وأمثاله مثل هذا الإمام الكبير، فمن الذي يستطيع الرد والإجابة عن مثل هذه الحجج والشبهات.

وقد وقع هذا التأثر منه غير مرَّة.

ومما يؤيِّد ما قاله الشيخُ ابنُ الجاسر، ما ذكره السيِّد أبوالحسن الندوي في كتابه (الحافظ ابن تيمية)، حيث قال: كان الشيعة يعتزُّون بهذا الكتاب، ويظنُّون أنَّ الرد عليه مستحيلٌ، ولكن من حظ المسلمين أن قيَّض الله في ذلك الزمن الذي أُلِّف فيه هذا الكتاب عالمًا يُعدّ أميرَ المؤمنين في الحديث في عصره، وقد عني بالرد على ذلك الرجل، وأدَّى فرض الكفاية عن الوقت بالردِّ عليه.

ولقد استمرَّ الشيخُ ابنُ الجاسر - رحمه الله - بعد أن عُيِّن قاضيًا في عنيزة على عادته التي كان عليها في بريدة. يقول الشيخ البسَّام عن الشيخ الجاسر: إنَّ دروسه في عنيزة، غالبها كان بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهي كتب لا يأنس بها، ولا يحبها إلا محقق في عقيدته، ومدقق في منهجه وشريعته[1].

فهذه الكتب - التي كتبها الشيخان: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، وما كان مثلها مبنيًّا على الكتاب والسنَّة - أقربُ إلى أهل نجد، الذين لم تفسد فطرهم بتعظيم المشاهد والأضرحة؛ مثل الأعاجم وأهل الحواضر، الذين أفسدهم أهل البدع والأهواء؛ إما بقوة السلطان، أو بالشبهات والشهوات؛ فحادوا عن المنهج الصحيح والعقيدة السليمة.

(١) انظر علماء نجد خلال ثمانية قرون: ٢٨٢/١.

وهذا بخلاف أهل نجد، الذين هم أهل الصحراء، والذين لم يتلوث جوُّهم بتلك الميكروبات، ولم تعشعش بينهم هاتيك الشبهات، بما تحويه من بلايا تظهر في تقديس الأشخاص، وصرف بعض أنواع العبادة لغير المعبود بحقٍّ سبحانه وتعالى.

ومع ذلك، فلم تؤتِ تلك الكتبُ ثمارَها - بقوَّة - إلا بعد دعوة الإمام المجدِّد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - الذي تتلمذ على تلك الكتب، فصَدَعَ بدعوة التوحيد في نجد، ولم تأخذه في الله لومةُ لائم، فنفع الله بدعوته البلاد الإسلاميَّة عامَّة، والجزيرة العربية خاصة؛ فتطهرت البقاع من البدع والخرافات، وأباطيل القبورية والترّهات، ورجع النَّاس إلى معتقد السلف الصالح، وصاروا في الفقه على مذهب إمام أهل السنة، الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى -.

ولقد انتشرت تلك الدعوة في العالم، فنفع الله بها في الوصول إلى الحقّ، وهداية الخلق.

ولقد رُئِيَ للشيخ محمَّد بن عبدالوهاب - رحمه الله - رؤيا لما مات؛ إذ رُئِيَ كأنَّ مناديًا يُنادي عند موته: أهلًا بالذي يدلُّ الخلق إلى عبادة الخالق!

فأثمرت في أهل نجد - بعد ظهور الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب - دعوةُ شيخ الإسلام ابن تيمية، بعد مرور خمسة قرون على موته - رحمه الله - فرأت كتبُه وكتبُ تلميذه ابن القيم النُّورَ بعد أن كانت حبيسةَ رفوفِ مكتبة الظاهرية والصالحية بالشام.

وقد أخبر عن ذلك بعضُ المستشرقين الغربيين بقوله: إنَّ دعوة الشيخ ابن تيمية لم تنجح في وقتها، وإنما نجحت على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فانتشرت في العالم الإسلامي، ورجع النَّاس إلى منهج الوحيين: الكتاب والسنة، كما كان الحال في القرون الأولى المفضّلة.

وصَدَقَ فيها حَدْسُ العالم العراقي، الذي أرسل لابن القيم - رحمه الله - بعد وفاة شيخه؛ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: أن حافظوا على كتب الإمام، فإنه سيستفيد منها أناسٌ في أصلاب آبائهم، لم يُولدوا بعد.

وها هو ذا أحد تلاميذه، وهو الإمام أحمد بن مرّي الحنبلي يُرسل رسالة إلى تلاميذ شيخ الإسلام بعد موته، ويوصيهم بنسخ تآليفه من مسوداته، والاحتفاظ بها، ويبشرهم بالعاقبة

الحسنة، ويمُنّيهم بأنّ هذه الكتب ستنتشر يومًا ما، ويذيع صيتها، يقول - رحمه الله -: «فإن يسر الله تعالى، وأعان على هذه الأمور العظيمة صارت إن شاء الله مؤلفات شيخنا ذخيرة صالحة للإسلام وأهله، وخزانة عظيمة لمن يؤلّف منها، وينقل، وينصر الطريقة السلفية على قواعدها، ويستخرج، ويختصر إلى آخر الدهر إن شاء الله تعالى. قال صلى الله عليه وسلم: «**لاَ يَزَالُ اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِه**»[1]، وقال: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[2]. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٨]. وكما انتفع الشيخ بكلام الأئمة قبله، فكذلك ينتفع بكلامه من بعده إن شاء الله تعالى. فاتبعوا أمر الله، واقصدوا رضا الله بجمع كلّ ما تقدرون عليه من أنواع المؤلفات الكبار، وأشتات المسائل الصغار، ومن نسخ الفتاوى المتفرقة، وسائر كلامه الذي قد مُلئ ولله الحمد من الفوائد، والفرائد، والشوارد. فأيقظوا الهمم، وابذلوا الأموال الكثيرة في تحصيل هذا المطلب العظيم الذي لا نظير له. فهذا هو الذي يلزمنا من حيث الأسباب، والتمام على رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وفاتح الأبواب، الذي يقيم دينه، وينصر كتابه وسنة نبيه على الدوام، ويثبت من يؤهله لذلك من أنواع الخاص والعام. وكلٌّ مجزيٌّ في القيامة بعمله، وما ربّك بظلام للعبيد. وقد عُلم أن الإمام أحمد بن حنبل كان ينهى في حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الأصلية العظمى، ولما توفي استدرك أصحابُه ذلك الأمر الكبير، فنقلوا علمه، وبيّنوا مقاصده، وشهروا فوائده، فانتصرت طريقته، واقتفيت آثاره، لأجل ذلك الوجود هو على هذه الصفة قديمًا وحديثًا. فلا تيأسوا من قبول القلوب القريبة والبعيدة لكلام شيخنا، فإنه ولله الحمد مقبول طوعًا وكرهًا. وأين غايات قبول القلوب السليمة لكلماته، وتتبع الهمم النافذة لمباحثه وترجيحاته. ووالله إن شاء الله ليقيمنّ الله سبحانه لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه، واستخراج مقاصده، واستحسان عجائبه وغرائبه رجالا هم إلى الآن في أصلاب آبائهم. وهذه سنة الحياة الجارية في عباده وبلاده. والذي وقع من هذه الأمور في الكون لا يحصي عدده غير الله تعالى. ومن المعلوم أنَّ البخاريَّ مع جلالة قدره أُخرج طريدًا، ثم مات بعد ذلك غريبًا، وعوَّضه الله سبحانه عن

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٠٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٢٤٤٢)، وفي صحيح الجامع (٦/ ٢٣١).
(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٩٢٠).

ذلك بما لا خطر في باله، ولا مرّ في خياله؛ من عكوف الهمم على كتابه، وشدة احتفالها به، وترجيحها له على جميع كتب السنن، وذلك لكمال صحته، وعظمة قدره، وحسن ترتيبه وجمعه، وجميل نية مؤلفه، وغير ذلك من الأسباب. ونحن نرجو أن يكون لمؤلفات شيخنا أبي العباس من هذه الوراثة الصالحة نصيبٌ كثيرٌ إن شاء الله تعالى؛ لأنه كان بنى جملة أموره على الكتاب والسنة ونصوص أئمة سلف الأمة، وكان يقصد تحري الصحة بكل جهده، ويدفع الباطل بكل ما يقدر عليه، لا يهاب مخالفة أحدٍ من الناس في نصر هذه الطريقة، وتبيين هذه الحقيقة، وتسهيل العبارات، وجمع أشتات المتفرقات، والنطق في مضايق الأبواب، بحقائق فصل الخطاب، ما ليس لأكثر المصنفين في أبواب مسائل أصول الدين وغيرها من مسائل المحققين؛ لأنه كان يجعل النقلَ الصحيحَ أصلَه وعمدته في جميع ما يبني عليه، ثم يعتضد بالعقليات الصحيحة التي توافق ذلك وبغيرها، ويجتهد على دفع كلّ ما يُعارض ذلك من شبهة المعقولات، ويلتزم حلّ كل شبهة كلامية وفلسفية»[1].

وقد نادى عالمٌ آخر بنسخ تآليف شيخ الإسلام من المسودات، والمحافظة عليها، وبشَّر بأنها طريقٌ لإعادة مجد الإسلام، فقال: «شجّعوا ابن القيم ينقل لكم ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأنه لا يعرف أحد أن يقرأ خطه سواه، وهو أعلم تلاميذه بكتبه وآثاره، واعلموا أنه سيصير لهذه الآثار شأن عظيم، وسبب لإعادة مجد الإسلام، وستكون مرجعًا في المستقبل لمعرفة الإسلام الصحيح[2]».

وهذا الحافظُ ابنُ حجر - رحمه الله - يُثني على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ويُشير إلى بقاء تصانيفه، وانتقال تواليفه إلى الأجيال القادمة، فيقول: «وتلقيبه بشيخ الإسلام باقٍ إلى الآن على الألسنة الزكية، وسيستمر غدًا ما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره، وتجنب الإنصاف»[3].

وقال الواسطي في رسالة إلى تلاميذ شيخ الإسلام - رحمه الله - يُوصيهم بالشيخ وبعلمه، فيقول: «فاشكروا الله الذي أقام لكم في رأس السبع مئة من الهجرة مَنْ بيَّن لكم أعلام دينكم، وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته، وبيَّن لكم بهذا النور المحمدي ضلالات

(١) قطعة من مكتوب الشيخ الإمام أحمد بن مري، تحقيق: محمد إبراهيم الشيباني: ص١٦- ١٨.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) تقريظ الحافظ ابن حجر على الرد الوافر، تحقيق: محمد إبراهيم الشيباني: ص١٢.

openkandil.com

العباد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم، وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة الذين لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم»[١].

فرأت كتبُ شيخ الإسلام - رحمه الله - النُّورَ في نجد وما حولها، واستفاد منها أُناسٌ كانوا في أصلاب آبائهم، عندما مات مؤلّفها.

وهذا من الأمور التي نتجت عن الرحلات التجارية، بما واكبها من انطلاقة علميَّة.

فممَّا لا شك فيه أنَّ هذه الرحلات العلمية المصاحبة للقوافل التجاريَّة، قد أثَّرت - منذ وقت مبكر - في مجتمع القصيم؛ وأخصّ كبرى مدنه؛ كعنيزة، والرس، وبريدة التي هي عاصمة (العقيلات) منذ القدم؛ فمنها كانت القوافل التجاريَّة تنطلق إلى الشام والعراق ومصر، وإليها كانت تعود محمَّلة بالعوائد التجارية والفوائد العلمية.

وبذلك وصلت كتب الإمام الجهبذ شيخ الإسلام ابن تيمية ومخطوطاته - رحمه الله - وكذا كتب تلميذه العلامة ابن القيم - رحمه الله - فصارت تدرّس في حلقات العلم في بريدة، وعنيزة، والرس.

وبسبب انتشار العلم في القصيم، ودراسة كتب الشيخين في حِلَقها، قَصَدَ الإمام الهمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - القصيمَ، وطلب العلم في بريدة على عالمها الشيخ أحمد[٢]، فعَرَفَ شيخ الإسلام ابن عبدالوهاب - رحمه الله - مجتمع القصيم، وعايشه عن قرب.

ولذلك أثنى - رحمه الله - على عقيدة أهل القصيم، وبيَّن أنها عقيدة صحيحة سليمة، وأنَّ النَّاس لا يوجد عندهم بدع، ولا شركيَّات، ولا خرافة، ولا خزعبلات[٣].

وبعد ظهور دعوة الإمام؛ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وانتشارها صار النَّاس في نجد على عقيدة واحدة، تقوم على تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، وجانبوا البدع والخرافات، وصاروا في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنه -[٤].

---

(١) التذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار في الثناء على شيخ الإسلام والوصاية به: ص٢٤.

(٢) انظر: تاريخ الشيخ خزعل.

(٣) انظر: رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من مطبوعات جامعة الإمام.

(٤) علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج١، ص٢٨٠.

ومـن دون شـك ولا ريـب: فما نعيشه اليوم مـن أمن وإيمان، وخـير وبركة واطمئنان، تحت ظل هذه الدولة السعودية السنية، فهو ببركة اجتماع الإمامين العظيمين: محمد بن سعود، والإمام محمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله - فانتشرت هذه العقيدة التي مضمونها إخلاص العبادة لله - عزَّ وجلَّ - ومتابعة الرسول في سنته الشريفة.

ولقـد أسَّست هـذه الدولة المباركة الجامعـات الإسلامية والمعاهـد العلمية التي تخرج الآلاف مـن طلبـة العلـم والقضـاة الشرعيـين، وعمـرت الحرمـين حسيًّـا ومعنويًّـا بالشرع المطهر، والمنهج الوسطي المؤسس على الكتاب والسنة؛ فلا يوجد في هذه البلاد - ولله الحمد والمِنَّـة - مشاهـد على قبور الأوليـاء والصحابة، ولا إقامة موالـد أو ولائم لهم، وإنما توجد الزيـارة الشرعيـة القائمـة على هدي خير البريـة، وفيها تعظيم جنـاب الله تعالى؛ بصرف العبـادة لـه وحـده لا شريك لـه، ومحبَّة الرسول صلـى الله عليه وسلم؛ التـي تُعلَم بطاعته، واتّباع هديه وسنته.

(العقيلات) من دعاة التوحيد:

(العقيـلات) هـم من أهـل نجد، ومن حاضـرة القصيـم؛ تعلّموا العقيـدة الصحيحة، وارتضعوهـا مـع ألبـان أمهاتهم؛ فصاروا مـن أشدّ النَّاس تمسُّكًا بشعائـر الدين، حتى قال فيهم الشاعر العربي القديم:

ألا حبذا نجدًا وطيبَ ترابها وغلظة دنيا أهل نجدٍ ودينها

وهذا لا يُستغرب، فقد نشأ (العقيلات) في هذا المجتمع الذي يدعو إلى إخلاص العبادة والقصد لله وحده في كل شيء، وإلى ترك كلّ ما يخدش هذا الإيمان الصريح؛ فأعظم شيء عندهم: هذه العقيدة التي لا يُساوَمون عليها، ولا يستبدلون بها شيئًا كائنًا ما كان.

ولاشكّ أنَّ مدرسـة علمـاء آل سليـم وتلاميذهم ومَن قبلهم من العلمـاء في زمن الدولة السعوديَّـة الأولـى لهـم دورٌ بـارزٌ في ترسيـخ دعوة الشيخ محمَّـد بن عبدالوهـاب - رحمه الله - في المجتمـع القصيمـيّ، وفي التحذيـر مـن البـدع، والبعد عـن الخرافات، والتمسّـك بالكتاب والسنّة، واتباع ما فيهما.

obeikandl.com

فكان (العقيلات) يؤدُّون فرائض دينهم، ولا يُسامحون المقصِّر، بل يُعاقبونه، ويأخذون على يديه.

ولقد تحصَّن العقيليّ بالعقيدة الصحيحة، وفهم ما خالفها؛ فحين غادر وطنه، ورحل للتجارة، ورأى أمامه اتجاهات مختلفة، وتيارات متفاوتة؛ فعَرَفَ الشيعةَ وغيرَهم من الفرق المخالفة لمعتقد السلف عن قُرب، وخالطهم، وشاهد مخالفاتهم رأي العين، واطّلع على معتقدات اليزيديَّة، والدروز، والصابئة، وغيرهم، وعَرَفَ بُعدهم عن الدين، ومجانبتهم للإسلام؛ فكان له من هذه التيارات موقف تصحيحي؛ لأنَّ القياس عنده هو التطبيق لأركان الإسلام، وليس مجرَّد الادّعاء.

(العقيلات) يدعون إلى التوحيد، ويُحذِّرون من البدع بأقوالهم وأفعالهم:

لقد تأثَّر (العقيلات) بدعوة الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وحملوها بقوَّة، وعملوا على نشرها في البلاد التي يُسافرون إليها.

فكان للـ (عقيلات) فضلٌ، بعد فضل الله - عزَّ وجلَّ - في تعليم النَّاس أمور دينهم في شمال الجزيرة العربية، قبل حواضر العراق والشام؛ حيث كانت تمرّ قوافلهم ببعض القبائل التي يجهل أهلها أمور دينهم؛ فيعلمونهم برفق، ويوجهونهم برحمة، ويدعونهم بأخلاقهم، وكلماتهم الصادقة، ومعاملتهم الحسنة؛ فكانوا يحسنون إلى الناس بأقوالهم وأفعالهم، فبدا أثرهم عظيمًا في إقامة شعائر الله، وتطبيق أركان الإسلام والإيمان، والابتعاد عن الخرافات، وعن كلِّ ما يخدش العقيدة.

كذلك الحال في بلاد العراق والشام وفلسطين ومصر؛ إذ كان للـ (عقيلات) جهودٌ كبيرةٌ في نشر دعوة التوحيد التي هي حق الله على العبيد، حتى أثروا في تلك البلاد وأهلها، من خلال الأمور الآتية:

١ - المعاملة الحسنة والصدق في التجارة.

لا شكَّ أنَّ للمعاملة الحسنة ثمارًا كثيرة تؤتي أُكلها عاجلاً أم آجلًا.

ولقد تحلَّى (العقيلات) بالأخلاق الحسنة، واتصفوا بالصفات الكريمة، وخالَقوا النَّاس بالخُلُق الحسن، حتى أشاد بهم، وتحدَّث عن جميل أخلاقهم، وطيب صفاتهم، وصدق تعاملهم بعضُ العلماء والمفكرين، وبعض المستشرقين الغربيين، ودوّنوا ذلك في كتبٍ شهدت لهم بالخلق الجميل، والذكر الطيّب، والقول الحسن.

قال المؤرخ محمد كرد علي، الذي رافق العقيلي عبدالعزيز المحيسني من الشام إلى مصر: «ولم أسمع في أربعة عشر يومًا بلياليها - أي طيلة رحلتنا من الشام إلى مصر - كلمة هجر وبذاء، ولا تجديفًا ولا لعنًا، ولا نميمةً ولا غيبة، ولا كذبًا ولا منكرًا، وكان أولئك (العقيلات) مواظبين على صلواتهم، يتيممون بالرمل إذا أعوزهم الماء، ولا يسرفون فيه إذا وُجِد، وأنست بلهجتهم، وفيها كثير من الفصح ولها رنة تطربك... »[1].

وقال الرحالة ألويس موزيل: «(العقيلات) معتادون على الصلاة، وكان كثير منهم يستطيعون تلاوة سور كاملة من القرآن، وعلَّموا الآخرين، وحثّوهم على مراعاة القواعد الدينية...»[2].

٢ - نشر الكتب وطباعتها.

وحيث إن بعض (العقيلات) من أهل العلم وطلابه، فقد كانوا يبحثون في المكتبات التي تحوي المخطوطات في العراق والشام ومصر عن الكتب والمخطوطات؛ فشاهدوا مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فأخرجوها من ظلمات المكتبات ورفوف المخطوطات، وطبعوا بعضها على حسابهم الخاصّ، وصاروا يوزعونها على طلاب العلم في تلك البلاد؛ فصارت تزاحم كتب أهل البدع، وصار لها قراء، ووجدت قبولاً؛ فنشأت الدعوات في العراق وغيرها إلى نشر التوحيد؛ مثل مدرسة آل الألوسي في بغداد، ومثل دعوة التوحيد السلفية في حلب ودمشق، التي خرَّجت الشيخ القاسمي صاحب التفسير، والشيخ بهجة البيطار، ومحمد نسيب الرفاعي، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ عدنان العرعور، الذي يقول: إنه من أحفاد (العقيلات) في الشام.

---

(١) مذكرات محمد كرد علي.

(٢) الرحالة ألويس موزيل: في الصحراء العربية، ص٢٩٢.

obeikandi.com

وظهر في مصر مدرسة أنصار السنة المحمدية التي أسسها محمد حامد الفقي، وممن تأثر بهذه الدعوة صاحب مجلة (المنار) الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ محب الدين الخطيب صاحب كتاب (الخطوط العريضة)، وغيرهم.

وممن عُرِف من (العقيلات) بطباعة المخطوطات وتحقيقها، وكتابة المقدمات لها، ونشر كتب أهل العقيدة الصحيحة:

الشيخ العلامة العقيلي صالح الدخيل في العراق، والشيخ العلامة العقيلي فوزان السابق في مصر، والشيخ العلامة العقيلي عيسى الرميح في الشام، حتى وصلت هذه الكتب إلى الآفاق، وتعدت حدود البلاد التي وطئها (العقيلات)، ونفع الله بها، فكان لها أثرٌ واضحٌ في نشر دعوة التوحيد في تلك الأصقاع.

وهذا الشيخ العلامة الداعية الدكتور تقي الدين الهلالي، كان يعيش في طنجة شمال المغرب على المحيط، وكان متصوفًا تيجانيًّا، يدعو إلى تعظيم الأضرحة، وإلى تقديس التيجاني، وإلى ورده الأعظم، وكان يرى أنه أفضل من قراءة القرآن (٦٠٠٠) مرة؛ فاهتدى هذا الداعية - بعد أن كان قبوريًّا - وصار من أعظم دعاة التوحيد، ومن أفضل المنادين بإفراد الله - عزَّ وجلَّ - بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وقد شنَّ حربًا على القبوريين - بعد أن كان واحدًا منهم - بسبب كتاب وصل إليه يشتمل على إفراد الله بالعبادة، ويدعو إلى عبادته وحده، على منهج الرسل؛ طُبِع على نفقة (عيسى بن رميح العقيلي). وبهذا الكتاب تأثَّر الشيخ تقي الدين الهلالي، فصار من أكبر الدعاة إلى التوحيد؛ في أوروبا، والهند، والبلاد العربية، وقد وجد هذا الكتاب في صعيد مصر[1].

٣ - تبليغ دعوة التوحيد.

وذلك من خلال مقابلة العلماء في تلك البلاد، ومحاورتهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن؛ حتى تأثر بذلك مَنْ أراد الله هدايته.

وقد قاموا بدعوة عوامّ تلك البلاد؛ بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وعاملوهم بصدق؛ فأثَّرت هذه الدعوة في تلك المجتمعات.

(١) انظر: تقي الدين الهلالي: الدعوة إلى الله.

فإذا رأى الرجلُ «عقيليًّا» عرفوه بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة ما سواه، وبالصدق في المعاملة، والأمانة في الحقوق، وهي صفات المؤمن الحقيقيّ.

فليس لدى العقيليّ وقتٌ إلا لعبادة الله وحده، وللتجارة الشرعية الصحيحة؛ كما ذكر ذلك عنهم الرحالة أمين الريحاني، في كتابه «ملوك العرب».

حتى أطلق أهل الشام المثل المعروف عندهم: (خَلِّك عقيلي)، ويقصدون به ذلك الرجل المثالي الذي خالطوه، وخالطهم في البيع والشراء وأنواع المعاملات، والجامع للصفات الحسنة؛ الذي أحسن المعاملة مع الله بالإخلاص، وأحسن المعاملة مع الناس بالصدق.

وأسوق للقارئ الكريم نماذج من هؤلاء الرجال، الذين كانوا يدعون النَّاس بأخلاقهم، وصدق تعاملهم، قبل أن يبدؤوا دعوتهم بأقوالهم، فمنهم:

الشيخ فوزان السابق الفوزان، سفير المملكة في مصر.

«هو فوزان بن سابق بن فوزان آل عثمان البريدي - نسبة إلى بريدة - القصيمي النجديّ. معمّر من فضلاء الحنابلة، له مشاركات في السياسة العربية، وُلد ونشأ في بريدة من القصيم بنجد، وتفقَّه»[1].

والشيخ فوزان - رحمه الله - من كبار «عقيل» الذين ذهبوا إلى الشام، وفلسطين، ومصر.

ولقد كان - رحمه الله - من العلماء الفضلاء، والأدباء الأجلاء، فمع علمه، كان عقيليًّا، يشتغل بتجارة الخيل والمواشي.

يقول الزركلي: «كان الشيخ فوزان السابق من العلماء الأفاضل، ولقد كان - رحمه الله - مع طلبه للعلم يشتغل بتجارة الخيل والمواشي، وهو الذي قام بعمل فهرس منظّم ومصوغ صياغة فقهيَّة مفيدة لقواعد ابن رجب، ثمّ طبعه على حسابه»[2].

(١) الزركلي: الأعلام: ٣٦٩/٥ .

(٢) الزركلي: الأعلام: ٣٧٨/٥ .

obeikandi.com

فالشيخ فوزان - رحمه الله - طالب علم، ومؤلف بارع[1].

وهو الذي عرَّف المصريِّين، وبينَّ لهم معتقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده وأهل نجد، وأنَّهم على مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

وقد بينَّ هذا الشيخُ محمَّد حامد الفقي - رحمه الله - في ترجمة الشيخ فوزان بعد وفاته، وذكر فيها الكثيرَ من فضائله، وشيئًا من أعماله وصفاته.

والشيخ حامد الفقي هو الذي غسَّل وكفَّن الشيخ فوزان، بوصية من الشيخ فوزان نفسه، وهذا دليلٌ على تقدير العلماء للشيخ فوزان - رحمه الله -[2].

«وقد سعى الشيخ فوزان - رحمه الله - لدى الملك عبدالعزيز بطبع كتب عدة مهمَّة؛ مثل المغني، والشرح الكبير، وتفسير ابن كثير، وتفسير البغوي، ومجموعة التوحيد، ومجموعة الحديث، ومجموعة المتون والرسائل والمسائل النجدية، والبداية والنهاية في التاريخ لابن كثير، وغيرها من الكتب، ولقد تولى طبع هذه الكتب والإشراف عليها»[3].

وقد كان الشيخ فوزان - رحمه الله - مؤلِّفًا بارعًا، كما تقدَّم؛ فكتب بيراعه كثيرًا من الكتب التي أسهمت في إثراء المكتبة الإسلاميَّة؛ منها كتاب: (البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار)، وقد كان بين الأخير وبين الشيخ فوزان مناظرة حول دعوة التوحيد، وحقيقة دعوة الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب - رحمه الله - ومناصرة الإمام محمَّد بن سعود له.

وقد قال الشيخ فوزان - في مقدّمة كتابه هذا، وكانت طبعته الأولى في مطابع أنصار السنة المحمّدية بالقاهرة، مصر، في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام، عام ١٣٧٢هـ[4]-: «أمَّا بعد: فإنيِّ لما كنت في دمشق الشام، وذلك في سنة تسع وعشرين وثلاث مئة وألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلَّم، جمعتني فيها مجالس مع أناس، ممن يدّعون العلم، وآخرين ممّن ينتسبون إليه؛ فكانوا لا يتورّعون عن الاعتراض على أهل

(١) محمد بن ناصر العبودي: معجم أسر بريدة: ١٥/٩.

(٢) انظر: محمد بن ناصر العبودي: معجم أسر بريدة، ٣٠/٩-٣١.

(٣) محمد بن ناصر العبودي: معجم أسر بريدة، ٣١/٩.

(٤) انظر: فوزان السابق الفوزان: البيان والإشهار: ص٣٧٤، ط١، عام ١٣٧٢هـ.

obeikandl.com

نجد، والطعن عليهم في عقيدتهم، وتسميتهم بالوهابيَّة، وأنَّهم أهلُ مذهبٍ خامس، والغلاة من هؤلاء يُكفّرونهم... - إلى أن قال -: وقد جرت بيني وبين من ذكرتهم مباحثات عدة؛ في المسائل التي هي أصل أصول الدين، وهي التي أرسل الله بها رسله، وأنزل بها كتبه؛ ليكون الدين كلُّه له وحده لا شريك له؛ إذ حصل في هذه المسائل تلبيسٌ على الجهَّال، من أناس يدّعون العلم، مع أنهم ليس لهم حظ من العلم، ولا نصيبٌ من الفهم.

ثمّ إني توجهت إلى مصر، وأقمت فيها، وفي سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة، تلقينا كتابًا من الشام ومعه رسالة، ولما فتحت الكتاب وجدته من بعض الذين اجتمعت معهم في الشام، وحصل البحث بيني وبينهم في هذه المسائل التي أشرت إليها، يقولون لي: قد أرسلنا إليك بهذه الرسالة كي تردّ عليها إن كان عندك جواب.

فعرفتُ من كتابهم هذا، وتحدّيهم لي فيه، بطلب الجواب عن تلك الرسالة، أنهم قد استعظموها في نفوسهم، معتقدين أنها الغاية القصوى في فصل الخصام بيني وبينهم في هذه المسائل التي دار فيها البحث. فلما اطّلعتُ على هذه الرسالة المذكورة، إذا هي لرجلٍ من المعاصرين من أهل الشام يسمّى: الحاج مختار بن الحاج أحمد باشا المؤيّد العظمي، سمّاها: (جلاء الأفهام عن مذهب الأئمة العظام)»[1].

٤ - الأمر بالمعروف، وإنكار البدع والشركيَّات.

لم يكتفِ رجال «عقيل» بالدعوة إلى التوحيد، بل كانوا يُنكرون البدع والشركيَّات بأقوالهم وأفعالهم.

فمن القصص التي تُروى في ذلك: أنَّ ركبًا من «عقيل» مرَّ على عربٍ من البادية - في الشمال - وقد مات شخصٌ كبيرٌ ذو منزلة عندهم، فأتوا بذلوله وعليها جميع متاعه، وما يلزم للرحلة، وكان من اعتقادهم: أنَّ الميت لو ذُبحت ذلوله وعليها كامل حوائج الرحلة، فإنَّه يُبعث يوم القيامة، فيجد ناقته عند قبره، ومعها جميع حوائجه، فيركبها، ولا يحتاج إلى شيء، فأخبرهم ركب عقيل أنَّ هذا لا يصحّ، وأنَّ الإنسان يُجازى على عمله؛ إن كان صالحًا،

(١) مقدمة كتاب البيان والإشهار: ص ٣- ٥، ط١، عام ١٣٧٢هـ.

obeikandl.com

فهو من الأخيار، وإن كان غير ذلك، فهو من الأشرار: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] و«**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**». كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلَّم.

وأخبرني العقيلي سليمان الجربوع أن علامة القصيم وقاضيها، الشيخ عمر بن سليم - رحمه الله - سأل العقيليَّ عبدَالعزيز الحمَّاد: هل دخلتَ جامع الكوفة؟ قال: نعم. قال: فهل دخلتَ من بابه الشمالي؟ قال: نعم. قال: فهل رأيتَ دكةً على يمين الداخل من الباب الشمالي؟ قال: لا. قال: فذاك قبر عليّ - رضي الله عنه -. وليس كما يزعم الشيعة أنَّه القبر الذي في المشهد - مكان يبعد عن الكوفة عشرين كيلومترًا تقريبًا -. قال العقيليّ الحمَّاد: فذهبتُ مرَّة أخرى، وتحقّقت من كلام الشيخ، ورأيتُ تلك الدكة، قال العقيلي سليمان الجربوع: وأنا بعد ذلك صليت في جامع الكوفة رأيت هذه الدكة التي ذكرها الشيخ عمر لعبدالعزيز الحماد، وأدركتُ ضلال الشيعة في دعواهم أنَّ قبر عليّ في المشهد، وليس الأمر كما يزعمون، بل جامعُ الكوفة مسجدٌ لأهل السنَّة يُقيمون فيه الجمع والجماعات.

وصلَّى «العقيلي»: سليمان الجربوع في حيفا - بفلسطين - صلاة الجمعة، فسمع صوتَ الخطيب ولم يرَه. فسأل المصلّين - بعد الصلاة -: أين الخطيب؟ فأجابوه: نحن نُصلّي مع القدس عبر المذياع. قال: فقلتُ لأصحابي ومن معي: هذه صلاة باطلة، فهيَّا نُعيد الصلاة، ونُصلّيها أربعًا - على أنَّها صلاة الظهر -. قال: فلما رجعت إلى القصيم، سألت الشيخ عبدالله بن حميد - رحمه الله - عن صنيعنا؟ فقال: أحسنتم، أصبتم الحقّ، وفعلتم الصواب.

وكان للعقيلات مساجدُ يجتمعون فيها، وقد يؤمّهم بعض طلبة العلم منهم؛ مثل مسجد رأس العين بعمَّان، ومسجد القنطرة شرق (الكرنتينة) بمصر.

فأمَّا في هذا المسجد العقيليُّ صالحُ بن حمد المحسن، وفي القاهرة وغيرها، وقام العقيلي الشيخ العلامة: (محمد بن حمود الضالع ببناء المساجد الوقفية بالشام، مثل مسجد دير الزور، ومسجد الضوضو بحلب، والدعوة في تلك المساجد إلى الله على المنهج

الصحيح)، (وقام العقيلي عبدالله الحليسي بترميم جامع باوزة في دمشق في حي الميدان في الحقلة)، وغيرها من مساجد الميدان الذي كان أكثر سكانه من (العقيلات) لقربه لسوق العصر، وهو سوق الإبل في الشام.

وكذا في الكرخ الذي يسمى صوب عقيل في بغداد بالعراق، وفي غزة بفلسطين وغيرها، وفي مصر؛ في القاهرة والمطرية وإمبابة وحلمية الزيتون وغيرها، فكانت هذه المساجد حافلة بتجمعات عقيل، وكان لبعض أهل العلم منهم جهود بالأمر بالمعروف؛ وذلك بالتعليم عن طريق حلقات العلم والكلمات التوجيهية، وإقامة صلوات التراويح في رمضان، ونشر العقيدة الصحيحة، والتحذير من الشركيَّات والبدع، ولهم قصص وأخبار في ذلك.

وسنذكر شخصيات عدَّة من علماء عقيل المتأخرين:

فمنهم:

١- **الشيخ العلامة إبراهيم بن حمد بن جاسر**، قاضي القصيم: (ولد في بريدة عام ١٢٤١هـ، وتوفي في الكويت عام ١٣٣٣هـ).

وقد قرأ على علماء بريدة؛ من آل سليم وغيرهم، وحصَّل علومًا كثيرة. قال عنه الشيخ البسام: سمت همّته، فرحل للتزوُّد من العلم، وسافر إلى الشام، فقرأ في صالحية دمشق، وفي الجامع الأموي، ولازم علماء الحنابلة هناك.

وممن لازمهم آل الشطي؛ فدخل بيتهم الذي كان معمورًا بالتدريس بمذهب الإمام أحمد، وتُعرف دارهم بدار الشطية، ثم انتقل إلى نابلس، فقرأ على أعيان الحنابلة فيها، ثم عاد إلى القصيم يحمل مشعلاً من العلم والمعرفة في الفروع والأصول، وخصوصًا في علم الحديث ورجاله. ويُقال إنه يحفظ الصحيحين.

وقد أثنى عليه كبار علماء زمانه، وأشادوا بسعة علمه، واطلاعه، وحفظه، واستحضاره، وورعه.

والذي يدل على صحة معتقده وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر: أنه دخل المسجد الحرام أيام الحكم العثماني، فوجد حِلَق الصوفية تمارس بدعها وخرافاتها، فلم تمنعه

غربته، ولا إقرار حكومة البلاد لهذه الأعمال، من أن يسطوَ عليهم بعصاه ضربًا، حتى فرَّقهم، فرُفِع أمره إلى أمير مكة المكرمة؛ الشريف عون، فلما حضر وحقَّق معه، عرف أنَّ الصواب مع الشيخ، ومنع هذه الأعمال البدعية[1].

وممَّا قاله للشريف عون: يا شريف، لو دخل عليك أحدٌ، وقال لك: عون، عون، عون... أو قال: أنت الشريف الكريم المحسن للرعية الرحيم بالناس: أيهما أفضل؟ فقال الشريف: الأوَّلُ يستهزئ بي، يستحق العقاب، والثاني يُثني عليَّ يستحق أن أكافئه. فقال الشيخ إبراهيم: هؤلاء يستهزئون بالله؛ لأنهم يقولون: هو، هو، هو، دون مدح ولا ثناء، فعرف الشريف قدره، وأثنى عليه.

ومن مواقف الشيخ إبراهيم في العراق: أنه عُرضت عليه إمامة وخطابة جامع النقيب في بلد الزبير براتب مغرٍ، قدره اثنا عشر جنيهًا، وكان في أمسِّ الحاجة إليها، فذهب للجامع المذكور ليراه، فدخل المسجد، وتجوَّل فيه، فرأى حجرة في مؤخرة المسجد، فسأل عنها، فقيل له: فيها قبر بانيه، فخرج من المسجد مسرعًا، وقال: لا أصلي في هذا المكان فرضًا واحدًا مأمومًا، فكيف أصير فيه إمامًا؟! هذا مع شدَّة فاقته، وحاجته الماسّة إلى راتبه[2].

وحين أنعم الله عليه بالمال، لم يحبسه في يده، بل كان سخيًّا جدًّا؛ حيث كان يأتيه المال الكثير، فلا تغرب شمس يومه ذاك، إلا وقد فرَّقه بين تلامذته ومستحقيه، فلا يدَّخر لنفسه من ذلك شيئًا، على كثرة ما يأتيه من الصدقات؛ من البصرة والشام ومصر والعراق والحجاز، وغيرها.

ولما مات - رحمه الله - مات وعليه دينٌ قدره: ثمانية آلاف ريال[3].

ومن مواقفه: أنه لما انتقل إلى حائل لتولي القضاء فيها - أيام حكم آل الرشيد - أسكنه أميرُها أحد بيوت الأمير السابق، فأرسل الشيخُ إبراهيم إلى بنات الأمير السابق يستأذنهن في الإقامة والصلاة فيه؛ لأنَّ الصلاة لا تصح في المكان المغصوب، فأرسلن إليه بالإذن، وشفعن إذنهنّ بالدعاء له.

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج٤، ص٢٧٨-٢٨٠.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج٤، ص٢٨٠.

(٣) علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج٤، ص٢٨٨.

ومن مواقفه: أنَّه سمع رجلاً من المزارعين يُنشد، وهو ذاهبٌ إلى مكان اسمه الصفراء - شمال بريدة - ليجلب منها تُربة فيها عناصر مقوية لزراعة القمح في الشتاء:

عليك بالصفرا إذا ضامك الدَّين..

فردَّ عليه الشيخ إبراهيم - رحمه الله -:

عليك بالتقوى إذا ضامك الدَّين...؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ومن مواقفه في الكويت - وكان مريضًا - فطلب الأمير مبارك الصباح له الطبيب الموجود هناك، وكان نصرانيًّا، فأُحضر لعلاجه، فامتنع الشيخ من ذلك، وقال: لستم في حلٍّ من إدخاله عليَّ. فوافته المنية هناك، فصُلي عليه، وشُيّع بمحفل يفوق الوصف، ودفن بالكويت[(١)].

وقد ذكروا أن أهل الكويت أحضروا ألف كفن؛ كُلٌّ يُريد تقديمه؛ لنيل الأجر والمثوبة من الله.

٢- ومنهم الشيخ العلامة عبدالله بن علي بن عمرو. قال عنه الشيخ عبدالله البسام: إنه سافر إلى حلب، وإنَّ الله هدى به خلقًا كثيرًا؛ في نشر عقيدة السلف، ثمَّ جاور في مكة المكرمة قبيل وفاته، ودرّس بالحرم المكي الشريف، وكان يُدرس فيه في زمن الأشراف[(٢)].

٣- ومنهم العقيلي إبراهيم بن محمد بن محسن التويجري. «ولد في بريدة عام ١٢٨٨هـ، وتوفي بها عام ١٣٧١هـ»[(٣)].

سافر - مع عقيل - للتجارة؛ فرحل إلى الشام، والعراق، ووصل إلى دلهي في الهند.

وكان مع عمله في التجارة طالبًا للعلم؛ فحفظ القرآن الكريم، وقرأ على علماء كلِّ بلدٍ دخله، وزار المكتبات في البلدان التي رحل إليها.

---

(١) علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج٤، ص٢٨٠.

(٢) علماء نجد خلال ثمانية قرون: ج٤، ص٣٢٤.

(٣) انظر ترجمته في: معجم أسر بريدة: ١٤٧/٨-١٧٧.

obeikandl.com

وقد طلب العلم، حتى أدرك كثيرًا من العلوم؛ في أصول الدين وفروعه؛ فحاز العلوم، وحفظ المتون؛ في الفقه، والحديث، والنحو.

وقد نسخ كثيرًا من الكتب التي اطّلع عليها، ونقلها إلى موطنه (بريدة).

ومن الكتب التي نسخها: كتاب (فيض الخاطر) لابن الجوزي، وكثيرٌ من مؤلّفات العلامة ابن القيِّم، وكثيرٌ من مؤلّفات الحافظ ابن رجب -رحمهم الله تعالى-.

كان مستجاب الدعوة، وكان والده محمَّد بن محسن التويجري من عقيل أيضًا، وسكن العراق.

٤- **ومنهم العقيلي عبدالله الروَّاف.** «ولد عام ١٢٩٣هـ، وتولَّى القضاء في عددٍ من البلدان؛ مثل: جازان، وعدن، والمكلا، وعُمان»[١].

وكان في مقتبل عمره قد اشتغل بالرحلات التجارية مع عقيل مدَّة طويلة، وطلب العلم مع ذلك، فأقام في دمشق؛ يطلب العلم فيها، ويقرأ على علمائها.

وحرص في أثناء إقامته على جمع المخطوطات ونسخها؛ فنسخ عددًا كبيرًا من المكتبة الظاهرية المعروفة.

ثمَّ رحل إلى نابلس، وكانت مكتظة بعلماء الحنابلة، فتفقَّه عليهم، وتبحَّر في فنون عدة.

وكان يطوف على المكتبات الأثريَّة، فينسخ ما يراه، أو يشتري ما يتمكَّن من شرائه، حتى جمع من المخطوطات الشيءَ الكثيرَ، ونسخ منها أعدادًا غفيرة؛ من المكتبة الظاهريَّة وغيرها.

٥- **ومنهم العقيلي محمَّد بن سعد الطويان.** وقد ذكر العقيلي عبدالله بن عبدالكريم الطويان، أنَّ خاله العقيلي محمد السعد الطويان سافر إلى فلسطين، وتلقى العلم على علمائها، وانقطع هناك للتدريس والدعوة إلى التوحيد، وخلع ما يُعبَد من دون الله، ومات في نابلس بعد سنة ١٣٤٠هـ.

(١) انظر ترجمته في: محمد عثمان القاضي: روضة الناظر ١/٢٩٥، ومحمد ناصر العبودي: معجم أسر بريدة.

ومن رجالات عقيل الذين لهم مواقف مشهودة في إنكار المنكر:

العقيليّ صالح بن عبدالكريم الطويان.

رحل مبكّرًا إلى الشام وعمره عشر سنين - في زمن الدولة العثمانيَّة - فاستوطن الشام، وطلب العلم في مدارس دمشق ومساجدها، وتلقى أنواع العلوم على يد مشايخها، حتى بذَّ أقرانه في كثيرٍ من الفنون، وحصَّل الكثيرَ من العلوم الشرعيَّة وغيرها.

كان يهتم بقراءة كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه العلامة ابن القيم، ويهتمّ أيضًا بدعوة التوحيد النقيَّة، كما دعا إليها الشيخ محمَّد بن عبدالوهَّاب - رحمه الله -.

ولمَّا رجع إلى القصيم درس على علامة القصيم وقاضيها الشيخ إبراهيم الجاسر، ورافقه في رحلته العلميَّة إلى حائل - وكان يُرافقه من التلاميذ ما يربو على الثمانين -.

وأخذ أيضًا من الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي؛ حين زار بريدة - القصيم، في طريقه إلى الزبير ليؤسِّس مدرسةً فيها.

حُبِّب إليه العلم وأهله، فكان لا يملّ من مجالسة العلماء، والتحدُّث إليهم. ومن العلماء الذين جالسهم: الشيخ محمود شكري الألوسي - رحمه الله - في العراق، وكثيرٌ من علماء الشام ومصر.

أعطاه الله حافظة عجيبة؛ فكان يحفظ المعلّقات، ويحفظ كثيرًا من المتون، وإذا تحدَّث في علمٍ من العلوم، قال سامعه: إنَّه لا يُحسن من العلوم غيره، وكان صاحب فراسة ورأي سديد، فيقول رأيه في الشيء، فيقع كما قال.

من أقواله التي يُردّدها دائمًا: ما عندنا كثير عبادة ولا عمل، إلا التوحيد، ونحن نرجو أن نلقى الله تعالى بهذا التوحيد. وكان يُكثر أن يقول: اللهمّ، إني أسألك إيمانًا حقيقيًّا لا يُزعزعه شرك، ويقول: رأيتُ عيسى بن مريم عليه السلام في المنام، فقال لي: قل ذلك.

ومن المواقف المشهودة له في إنكار المنكر:

أنَّه رأى - رحمه الله - رجلاً مشعوذًا في الشام، يقطع صحيفةً - جريدة - ثمّ يُعيدها، فتعود كما كانت. فقال له: هذا تخييل. ولكن دعني أنا أقطعها، ولن تستطيع إعادتها. فرفض، فأفحمه بجوابه.

وكان له - رحمه الله - موقفٌ مع الشريف عبدالله ملك الأردن؛ فقد اجتمع الشريف عبدالله ملك الأردن مع (العقيلات) في مخيّمهم خارج عمَّان (وكان قبل الأمان (العقيلات) يسيرون جماعات تحت أمير واحد)، وشرب عندهم القهوة، وخاطبهم قائلاً: يا عقيل، محاكمنا أفضل من محاكمكم، وقضاتنا أفضل من قضاتكم، وعندنا قوانين وموادّ مقنّنة خلاف طريقتكم، القاضي - عندكم - يحكم في المسجد أو عند باب بيته دون ضبط، وعندنا محامون، وأنا لو أخذت لكم فرسًا أو خيلاً، تستطيع أن تُقيم محاميًا يُدافع عن حقوقك. فقال العمّ - رحمه الله-: يا سيدنا الشريف، نحن نحكم بشريعة جدِّك صلى الله عليه وسلَّم، وأنت تحكم بالقانون؟! فقال: صدقت يا بُني، جوابك حقّ.

ودخل هذا العقيليّ - العمّ صالح - الجامعَ الأمويَّ في دمشق، فرأى أنهم قد كتبوا على السواري أسماءَ الفرق الباطلة التي يُحذِّرون منها، وكتبوا من ضمنها فرقة الوهابية، وزعموا أنهم لا يحبون النبيَّ صلى الله عليه وسلم ولا الأولياء.

ويقصدون بالوهابية: أتباع الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب، وكل من فعل فعله من الدعوة إلى إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وترك تقديس الأشخاص، وترك التقليد الأعمى بغير دليل.

وكان ابن القيم - رحمه الله - يقول: إذا قال لك أحد: إنك لا تحب الرسول صلى الله عليه وسلم، فقل له: وأنت لا تحب الله؛ لأنهم يصرفون العبادة لغير الله، ويغلون بالرسول صلى الله عليه وسلم.

فسأل العقيلي - الطويان - أحدَ العلماء الذين يُدرِّسون في الجامع عن سبب جعلهم الوهابية من الفرق الباطلة؟ فوجد أنَّ هذا الشيخ قد تأثر بالدعاية المغرضة التي شوَّهت دعوة التوحيد، ونفَّرت الناس منها، ومن حملها؛ بوصفهم بالوهابية. فقال العقيلي: نحن

أهل نجد نحرص أن تكون أقوالنا وأفعالنا ونياتنا كلُّها لوجه الله، ليس لأحد منها شيء، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] ونحن نُنزِّه الله عن صفات خلقه، ونصفه بما وصف هو سبحانه نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال، وننفي عنه صفات النقص والعيب؛ فلا نعطِّل الله عن صفاته، ولا نشبّهه بأحد من خلقه؛ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، على حدّ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فعقيدتنا تجريد العبادة لله وحده، ليس معه شريك، ولا ملك، ولا نبي، ولا ولي؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] وقال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. وتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في هديه وسنته القولية والفعلية، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وأمَّا في الفقه فنحن على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - ولكن إذا صحَّ الدليل من الكتاب والسنة في أقوال أحد المذاهب الثلاثة الأخرى، فنحن معه، لا نتعصب للمذهب الحنبلي.

أما قولكم عنَّا: إنَّا لا نحب النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فهذه فرية وكذب على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو الذي ألَّف في سيرته صلى الله عليه وسلم كتابًا يُقرأ في بلادنا، ومذهب الإمام أحمد: أنَّ الذي لا يُصلِّي على النبيِّ صلى الله عليه وسلم في التشهد الأخير فصلاته باطلة، خلاف المذاهب الثلاثة؛ فلا تبطل الصلاة عندهم؛ لأنهم يرون الصلاة على النبي سنة، فكيف نوصف بأننا لا نحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه هي عقيدتنا؟!

العقيلي عبدالرحمن بن سليمان الطويان:

ومن المواقف المشهودة له في إنكار المنكر: أنَّه حين شاهد كثرة الذبح، والموائد التي تُنصب لأصحاب الأضرحة في مواسم الموالد، استنكر ذلك، فسأل بعض علماء الأزهر: كيف تذهب هذه الأموال في سبيلٍ لا يُرضي الله تعالى؟! فقال له: هذه أموالٌ جمعوها من غير حلّها، فتذهب في غير ما يُحب الله!

وعمومًا: فمعتقد (العقيلات) هو معتقد السلف الصالح، ولم يشذّ أحدٌ منهم في ذلك.

ولما خالطوا أهل تلك البلاد، وعاملوهم بالتجارة، وخالقوهم بالأخلاق الحسنة، وبالآداب الإسلامية، أدرك أهلُ تلك البلاد صدقهم، وأمانتهم، وصبرهم، ولم يروا منهم ما يشين في العقيدة؛ لذلك لم ينبزوهم بالألقاب القبيحة، بل أعجبوا بتطبيقهم للشرع الحكيم، ونشرهم لمعتقد السلف الصالح بالحكمة والموعظة الحسنة؛ في أقوالهم وأفعالهم، فكانوا محترمين في تلك البلاد، وكانوا يسمعون لهم، ويأخذون عنهم؛ فصاروا نعم السفراء لبلادهم، وأعطوا الصورة الحقيقية، والوجه الناصع للإسلام.

openkandl.com